



كتب: حجة الإسلام الشيخ نزار الحسن

رسول الله ﷺ وتجيئون عندي تطلبون مني الشفاعة والاستغفار).

فغضبوا ورجعا فرأهما النبي ﷺ فتسبم وقال ﷺ: في الحق مبغضه (مجالس المؤمنين: ج ١ ص ٢٦٦).

لما توفي رسول الله ﷺ رجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بن نويرة، فخرج لينظر من قام مقام رسول الله ﷺ فدخل يوم الجمعة وأخو تميم على المنبر يخطب الناس، فنظر إليه وقال: ما فعل وصي رسول الله ﷺ الذي أمرني بمولاته؟ قالوا: يا أعرابي الأمر يحدث بعد الأمر الآخر، قال: تا لله ما حدث شيء وأنكم لخنتم الله ورسوله، ثم تقدم إليه وقال له: من أرقاك هذا المنبر ووصي رسول الله ﷺ جالس؟

فقال أخو تميم: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبه من مسجد رسول الله ﷺ، فقام إليه فتفد وخالد بن الوليد فلم يزالا يكران عنقه. أي يضربان. حتى أخرجاه (سفينة البحار: ج ٨ ص ١١٤).

فركب راحلته وصلى على النبي ﷺ ثم أشد:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا  
فياقوم ماشأني وشأن أبي بكر  
إذا مات بكر قام بكر مقامه  
فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

(منتهى الآمال: ج ١ ص ٢٥٠)

وفي تنقيح المقال: ج ١ ص ٥٠: إنه - مالك - ما بايع أباً بكر وأنكر عليه أشد الإنكار وعاتبه بقوله: أربع على ضلعك والزم قعر بيتك واستغفر لذنبك ورد الحق إلى

تميم، وعرنين المجد في بني يربوع من عليّة العرب، وهو من أرداف الملوك (أسد الغابة: ج ٤ ص ٢٩٥).

قال البراء بن عازب: إن وفداً من تميم أتوا النبي ﷺ فقال أميرهم مالك بن نويرة: علمني الإيمان يارسول الله، فقال له رسول الله ﷺ:

الإيمان أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وتُصلي الخمس، وتصوم شهر رمضان وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتوالي وصيي هذا - وأشار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام بيده ولا تسفك دماً ولا تسرق ولا تخون ولا تأكل مال اليتيم ولا تشرب الخمر وتوفي بشرائعي وتحلل حلالي وتحرم حرامي وتعطي الحق من نفسك للضعيف والقوي والكبير والصغير. حتى عدّ عليه شرائع الإسلام.

فقام مالك وذهب فرحاً مسروراً ممّا تعلمه، وكان يقول: تعلمتُ الإيمان وربّ الكعبة (منتهى الآمال: ج ١ ص ٢٤٩).

ولما ابتعد مالك وانفضّ عن مجلس رسول الله ﷺ وقد قبل إسلامه قال ﷺ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ. فلحقه رجلان كانا عند رسول الله ﷺ كي يخبراه

بما سمعاه ويسألاه الاستغفار لهما، فقال مالك لهما: لا غفر الله لكما تدعان صاحب الشفاعة وتسالاني؟

وفي تنقيح المقال: ج ٢ ص ٥١: (.. فطلب أبو بكر وعمر الاستغفار منه، فقال: لا غفر الله لكما تحلون

\* . . . . \*

كلما سبرنا التاريخ الإسلامي وطلعنا صفحاته ازددنا يقيناً بأنّ قليلاً ممن صحبوا الرسول ﷺ لم يخونوا الله والرسول في العهد الذي قطعوه على أنفسهم (إنّ العهد كان مسؤولاً) بأن يسيروا على منهجه وخطاه من بعد حياته، وقد تجلت هذه الحقيقة بانقلاب الكثير منهم بعد رحيله (صلى الله عليه وآله)، وقد نطق الذكر الحكيم بدمهم على ذلك ما أن بقي الدهر (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين)، ونزداد يقيناً أيضاً بأن الذين صنعوا التاريخ المشرق للإسلام ودونوه بدمائهم الزاكية كي يبقى ما إن بقي في الكون باقية هم الذين صدقوا العهد ووفو به وشروا أنفسهم إبتغاء مرضات الله سبحانه لا الذين خانوه، ومنهم الذي استجاب لنداء الله تعالى ورسوله ﷺ بكلّ خضوع وإجلال واعتزاز (الشهيد مالك بن نويرة التميمي) المقتول غدرًا وغيبة، ظلماً وجوراً، والذي يعد مقتله أول حادث إرهابي - بما تحمل هذه الكلمة من معنى - في الإسلام بعد حادثة الهجوم على بيت علي والزهراء عليهما السلام وإحراقه.... ولانغالي إن قلنا ذلك.

\* . . . . \*

هو مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبد بن ثعلبة بن يربوع التميمي اليربوعي هامة الشرف في بني

أهله، أما تستحي أن تقوم في مقام ألام الله ورسوله فيه غيرك وما ترك يوم الغدير لأحد حجّة ولامعذرة إلى غير ذلك.

\* ã 1

الحوار الذي دار بين مالك والزعيم كأنه شقّ على أبي بكر فلم يجعله يذهب سُدىً فما أن استتب الأمر لأخي تيم وجه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت ما قال - مالك - على رؤوس الأشهاد، لست آمن أن يفتق علينا فتقاً لايلتام، فاقتله (سفينة البحار: ج ٨ ص ١١٥).

\* . . . . .

لم يكن اعتراض مالك على الخليفة المنصب من بعض الناس بالأمر الهين في بداية تشييته، بل كان كالصاعقة على أخي تيم وأصحابه، وذلك كونه يفتح باب الاعتراض والجرأة على مصراعيه بوجه الأول ومن يؤيده، لذا وفي خطوة سريعة لاحتواء الموقف في أوله: قام الأول بتوجيه خالد بن الوليد لمواجهة ما سموه بالارتداد في موقفه، والذي جاء ضمن سلسلة من الحروب سميت بحروب الردة، متخذين رفض مالك دفع الزكاة لأبي بكر ذريعة تبرر الهجوم عليه وقومه كونه مرتداً، وهي الحقيقة التاريخية التي حاولوا إخفاءها وتزويرها بذكرهم وترويحهم بأن الحق في موقفه رضوان الله عليه من دفع الزكاة هو الإنكار لها والشق لعصى المسلمين وابتغاء الفتنة وإرادة قتال خليفة المسلمين وارتداداً عن الدين و...، وقد كان بن نويرة يتوقع ذلك منهم؛ لأن من يستحل مالميس له توقع منه فعل أي شيء.

فهذه هي الحقيقة في موقف مالك وأصحابه، والتي عليها موقفه صح قومه ليثبتوا على الإسلام، ويؤيدها عدم مناوآته لخالد وأمره إياهم بالتفرق لئلا يصطدموا بجيشه الناهد إلى بطاحهم، ونهيه عن الاجتماع في مكان ما لئلا يظن أحد بأنهم معسكرون (النص والاجتهاد: ص ١١٧) إلا دليلاً دامغاً على فساد مدعاهم افتضاح مبتغاهم من مدعاهم.

\* . . . . .

لما فرغ خالد من أسد وغطفان أزمع على المسير إلى البطاح ليلقى فيها مالك بن نويرة وقومه، وكان مالك قد أخلى له البطاح، وفرّق قومه لما ذكرناه من عزمه على السلام والثبات على الإسلام. فلما عرف الأنصار عزم خالد على المسير إلى مالك، توقفوا عن المسير معه وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا إنما عهده إن نحن فرغنا من البزاة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى

يكتب إلينا.

فأجابهم خالد: إنه إن لم يكن عهد إليكم بهذا فقد عهد إلي أن أمضي وأنا الأمير وإلي تنتهي الأخبار، ولو أنه لم يأتني كتاب ولا أمر، ثم رأيت فرصة أن أعلمته بها فاتتني لم أعلمه حتى انتهزها، وكذلك إذا ابتلينا بأمر لم يعهد لنا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما يحضرنا ثم نعمل به، وهذا مالك بن نويرة بحيانا وأنا قاصد له بمن معي. ثم سار ومن معه يقصد البطاح، فلما بلغوها لم يجدوا فيها أحداً.

فكلمة أهل السير والأخبار كافة متفقة على أن خالداً حين احتل البطاح بجيشه لم يجد فيها أحداً من أهلها، وأن مالكاً قد فرّق قومه من قبل في ديارهم قائلًا لهم: إياكم والمناوأة وناصحا لهم بالبقاء على الإسلام وأن يبقوا متفرقين حتى يلم الله هذا الشعب (راجع كتاب الصديق أبو بكر، لهيكل: ص ١٤٤).

\* . . . . .

فلما لم يجدوا فيها - البطاح - أحداً أرسل خالد سراياه في أثرهم فجاءته بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع فحبسهم، ثم كان ما كان من أمرهم. من تعذيب وقتل وسبى ووو.

وقد روى الطبري في تاريخه: ج ٢، ص ٢٨٠ وغيره، بسنده إلى أبي قتادة الأنصاري وكان من رؤساء تلك السرايا أنه كان يحدث، أنهم لما فشا القوم راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح. قال أبو قتادة، قتلنا: إننا المسلمون. قال: فقالوا ونحن المسلمون. قلنا: ما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قتلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، ثم صلينا وصلوا. وبعد الصلاة خفوا إلى الاستيلاء على أسلحتهم وشد وثاقهم وسوقهم أسرى إلى خالد وفيهم زوجة مالك. ليلي بنت المنهال أم تميم. وكانت كما نص عليه أهل الأخبار (واللفظ للأستاذ عباس محمود العقاد في عبقرية خالد): من أشهر نساء العرب بالجمال، ولاسيما جمال العينين والساقين، قال: يقال أنه لم ير أجمل من عينيها ولا ساقيتها، ففتت خالداً وقد تجاوز في الكلام مع مالك وهي إلى جنبه، فكان ممّا قاله خالد: إني قاتلك قال له مالك: أو بذلك أمر صاحبك؟ (يعني أبا بكر).

قال: والله لأقتلك. وكان عبدالله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري إذ ذاك حاضرين، فكلم خالداً في أمره، فكره كلامهما، فقال مالك: يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه

أكبر من جرمننا، وألح عبدالله بن عمر وأبو قتادة على خالد بأن يبعثهم إلى الخليفة فأبى عليهما ذلك.

وقال خالد: لا أقالني الله إن لم أقتله. وتقدم إلى ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه. فالتقت مالك إلى زوجته، وقال لخالد: هذه التي قتلتني. فقال له خالد: بل الله قتلك بروجعك عن الإسلام. فقال له مالك: إني على الإسلام، فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه وقبض خالد على زوجته فبنى بها في تلك الليلة.

وقيل: جعل رأسه أثقبة لتدر كما في وفيات الأعيان في ترجمة (وثيمة بن الفرات). وقيل كما في منتهى الآمال: ج ١ ص ٢٥١... ووضع رأسه تحت القدر والنار مشتعلة وزنا بزوجه في تلك الليلة التي قتله فيها ثم قتل رجالهم وسبى نساءهم..

\* . . . . .

قال الأستاذ هيكل في كتابه (الصديق أبو بكر: ص ١٤٧): إن أبا قتادة الأنصاري غضب لفعلة خالد إذ قتل مالكاً وتزوج امرأته فتركه متصرفاً إلى المدينة مُقسماً أن لا يكون أبداً في لواء عليه خالد، وأن متمم بن نويرة أخوا مالك ذهب معه، فلما بلغا المدينة ذهب أبو قتادة ولا يزال الغضب أخذاً منه مأخذه فلقى أبا بكر فقص عليه أمر خالد، وقتله مالكاً وزواجه من ليلي، وأضاف أنه أقسم أن لا يكون أبداً في لواء عليه خالد. قال: لكن أبا بكر كان معجباً بخالد وانتصاراته، ولم يعجبه أبو قتادة، بل أنكر منه أن يقول في سيف الإسلام مايقوله!

قال هيكل: أترى الأنصاري - يعني أبا قتادة - هاله غضب الخليفة فأسكته. ثم قال: كلا فقد كانت ثورته على خالد عنيفة كل العنف لذلك ذهب إلى عمر بن الخطاب فقص عليه القصة، وصور له خالداً في صورة الرجل الذي يغلّب هواه على واجبه، ويستهين بأمر الله إرضاءً لنفسه. قال: وأقره عمر على رأيه وشاركه في الطعن على خالد والتيل منه، وذهب عمر إلى أبي بكر وقد أثارته فعلة خالد أيما ثورة، وطلب إليه أن يعزله، وقال إن سيف خالد رهقاً. أي خفيفاً..

وبعد ما ألح عمر على أبي بكر فقال: هبه يا عمر، تأول فأخطأ، فإرفع لسانك عن خالد.

ولم يكتف عمر بهذا الجواب، ولم يكف عن المطالبة بتنفيذ رأيه فلما ضاق أبو بكر ذرعاً بإلحاح عمر، قال: لا يا عمر ما كنت لأشيم - أي أغمد - سيفاً سلّه الله على الكافرين.

قال هيكل: لكن عمر كان يرى صنع خالداً نكراً فلم

تطب نفسه ولم يسترح ضميره.

كيف إذن يسكت وكيف يذر خالدًا في طمأنينته يشعر كأنه لم يأثم ولم يجن ذنباً قال: لأبد أن يُعيد القول على أبي بكر، وأن يذكر له في صراحة أن عدو الله عدا على أمرىء مسلم فقتله، ونزا على امرأته فليس من الإنصاف في شيء أن لا يُؤاخذ بصنيعه. قال: ولم يسع أبا بكر إزاء ثورة عمر إلا أن يستقدم خالداً ليسأله ما صنع. قال: وأقبل خالد من الميدان إلى المدينة، ودخل المسجد في عدّة الحرب مرتدياً قباءً له صدأ الحديد، وقد غرز في عمامته أسهماً، وقام إليه عمر إذ رآه يخطو في المسجد، فنزع الأسهم من رأسه وحطّمها وهو يقول: قتلت امرءً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمك بالأحجار (تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ١١٠).

قال: وأمسك خالد فلم يعتذر ودخل على أبي بكر فقصّ عليه قصة مالك وتردده، وجعل يلتمس المعاذير فغذره أبو بكر وتجاوز عمّا كان منه في الحرب، لكنه عنّفه على الزواج من امرأة لم يجف دم زوجها، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وترى الاتصال بهنّ عاراً أيّ عار (وفيات الأعيان: لابن خلكان: ج ٥ ص ٦٦، وكنز العمال: ج ٣ ص ١٢٢، ط ١).

\* à à à à °1

لقد كان عمر يُحرّض أبا بكر على خالد ويُشير عليه أن يقتص منه بدم مالك، لكن أبا بكر رد عليه يقول: إيها يا عمر ما هو بأوّل من أخطأ فارفع لسانك عنه؟

\* . . . . .

أولاً: إنا لو سلّمنا خطأ خالد كما قال الخليفة الأوّل فما معنى إذهاب جميع ما فعله من القتل والنهب والأسر هدرًا، فإنّ الخطأ إن كان عن ميزان شرعي رُفِع العقاب ولم يُرفع الضمان، بل يكون الضمان عليه أو من بيت المال، ثم إن أخطأ في القتل فما العذر في ترك حدّه للزنا بالمحصنة؟ وعلى فرض ارتداد مالك كما يزعمون فزوجته مسلمة وعليها العدة.

ثانياً: إن عمر بن الخطاب لو كان صادقاً في مقالاته وتهديداته فما باله لم يقتص منه بعد خلافته، فالجرم ثابت ومشهود؟ فأين ذهب ذلك التحريض عليه؟ وما له لم يبر قسمه فيه؟ فقد ورد في التاريخ: إن عمر استقبل في خلافته خالد بن الوليد يوماً في بعض حيطان المدينة، فقال له: يا خالد أنت الذي قتل مالكاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن كنتُ قتلتُ مالك بن نويرة لهنات كانت بيني وبينه فقد قتلت لكم سعد بن عبادة لهنات كانت بينكم وبينه، فأعجب عمر قوله وضمّه إلى صدره وقال له: أنت

سيف الله وسيف رسوله (سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٦٤).  
ثالثاً: لو فرضنا أن خالداً اعتبر زوجة مالك سبيّة، فالسبيّة لا يحلّ وطؤها إلا بعد الاستبراء الشرعي، ولا استبراء هنا وإنما قتل زوجها ووطئها في تلك الحال.

\* à °

هكذا السيد شرف الدين رحمته في كتابه النص والاجتهاد: ص ١٢٦، يطرح تساؤلاً يقول فيه: إن من أعجب الأمور وأغربها، أن تذهب في عهد أبي بكر، تلك الدماء. وهاتيك الأعراض والأموال هدرًا، وأن تُستباح تلك الحرمات، وتعطل حدودها الشرعية، حتى يعزل خالد عن تلك الإمارة، ولم ينقص شيء من صلاحياتها الواسعة واستمرّ ماضياً فيها غلوته حتى توفي الخليفة؟ وإن رأيتُ أبي بكر في الجنّة يوم البطاح، لمن أوائل الآراء المخالفة لنصوص الكتاب والسنة، قدّم رأيه في المصلحة على التعبد بها.

\* . . . . .

إن من أهم الأمور وأبرزها في حياة مالك بن نويرة هي مسألة قتله وانتهاك حرمة على يد خالد بن الوليد، إذ كانت حرمة قتل خالد في غاية الصراحة والقطع في الخبر التاريخي، وكانت من الكبائر الموبقة الموجبة للفصاح الشرعي، لأنّ إسلام مالك مما لا ريب فيه لكل منصف ألم بوقعة البطاح على حقيقتها وعرف السر في ثورة عمر، وأبي قتادة، وأهل المدينة بكنهها، وقد كان آخر ما تكلم به مالك في حياته أنه على الإسلام. على أنّ الشيخين عمر وأبا بكر اتفقا على موته مسلماً، وذلك أنّ عمر إذ قال للخليفة: إن خالداً قد زنى فارجمه، قال الخليفة:

ما كنتُ لأرجمه فإنّه تأوّل فأخطأ. قال عمر: إنّه قتل مسلماً فاقتله به. فلم يقل له: إنّه قتل مرتدًا، وإنما قال: ما كنتُ لأقتله به فإنّه تأوّل فأخطأ. وهذا اعتراف منه بإسلام مالك. ولذلك دفع ديبته من بيت مال المسلمين، واعتبر السبايا والأسرى من آله أحراراً فخلّى سبيلهم، ولم يقر خالدًا على سببهم.

ومن ثم لو تنزلنا وأن خالدًا إذ وطئ امرأة مالك متأوّلًا فما عذره في تعلقه بها ولاسيما بعد لقاء الخليفة؟ وما عذر الخليفة في إبقائه عليه بعد أخذها معه إلى اليمامة يُسافِعها وهو محصن؟

فهذه واحدة من جرائم خالد التي كانت بمرأى وأمّام الخلفاء الذين بدأوا يبرّرون لفعلة الشنيع إن لم نقل اغتيال مالك قصّة حيكّت خيوطها ليليل، وأمرٌ دُبر خلف الكواليس؛ لأسباب باتت واضحة؟

